التعبير عن الشيء باسم ما يؤول إليه في المستقبل توسُّعاً، نوعٌ من البلاغة بليغٌ، وجنسٌ من الفصاحة رفيعٌ، من ذلك قوله-تعالى-على لسان أحد صاحبي يوسُف-عليه السلام- اللذينِ دخلا معه السِّجنَ-: ﭽﯔ ﯕ ﯖﯗﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜﯝﭼ [يوسف:٣٦]، فإنَّ سبب التعبير بهذه الصيغة: استحضار الصورة، والمعنى: **(إنِّي أراني أعصرُ عنباً)،** فسمَّاه باسم ما يؤول إليه؛ لكونه المقصود من العصر... ويبدو أنَّ الإيثار بهذا اللفظ بدل**(العنب)**؛ ليتوجه الذهن إلى أنَّ المراد من عصر العنبِ الخمْرَ حصراً؛ إذ عصر العنب لا يقتصر على أنَّه يصير خمراً، بل له أنواع من الصَّنعة داخلةٌ فيه كالنبيذ مثلاً، والله-تعالى- أعلم بالمراد من ذلك.

وفي قوله-تعالى-: ﭽﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄﭼ[نوح:٢٧]، والمعنى إلَّا من سيفجر ويكفر، ففي الكلام توسُّعٌ؛ لأنَّهم لم يَفْجُرُوا وقت الولادة بل بعدها بزمانٍ طويلٍ، أي: إلَّا من سيكون فاجراً كافراً بعد الإدراك، فالمولود حين يُولد لا يكون فاجراً ولا كافراً؛ ولكنَّه قد يكون كذلك بعد الطفولة، نظراً لِمَا يؤول إليه أمرُه، والله عليمٌ خبيرٌ.

10- تذكير المؤنث:

هذا النَّوع من التَّجوز يُقصدُ به أنَّ بعض متعلقات المؤنث تأتي بصيغة التَّذكير توسُّعاً، فيُذهب إلى المعنى ويُترك اللفظُ جانباً؛ نظراً إلى أنَّ تأنيثها غير حقيقي أو لرعاية اللفظ أحياناً، وهو في القرآن الكريم كثيرٌ، وخيرُ شاهد على ذلك تذكير لفظ(ﯞ) في قوله-تعالى-:ﭽﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠﭼ [الأعراف:56]، وفي قوله-تعالى-:ﭽﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝﭼ[الأحزاب:63]، وفي قوله-تعالى-: ﭽﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺﭼ[الشورى:17]، فوجه تذكير خبر رحمة الله-تعالى-(ﯞ) ولم يقل: **قريبة**؛ لأنَّ الرَّحمة مُؤوَّلة بالرَّحم، لكونها بمعنى العفو والغفران، فتأنيثها غير حقيقي، وفي هذا ترغيبٌ للعباد إلى الخير وتنشيطٌ لهم؛ فإنَّ قرب هذه الرحمة الَّتي يكون بها الفوز بكل مطلب مقصودٌ لكلِّ عبدٍ من عباد الله-عز وجل-، وجميع أقوال أهل العلم تشير إلى سبب هذا التَّذكير في لفظ**(قَرِيبٌ)** وإن اختلفت توجيهاتهم في تقدير معنى الرَّحمة، فكلُّها تصبُّ في أنَّ ما لا يكون تأنيثه حقيقيّاً جاز تذكيره.

والتذكير في قرب السَّاعة لكون الساعة في معنى اليوم أو الوقت، مع كون التأنيث ليس بحقيقي... وفي هذا تهديدٌ عظيمٌ للمستعجلين وإسكاتٌ للممتحنين والمشركين، ولمن يثبت علم المغيبات للأنبياء والصالحين وغيرهم من الخلق أجمعين...

ومن قطف ثمرات تذكير المؤنث قوله-تعالى-: **ﭽﯔﯕ ﯖﯗﯘﯙﯚﯛﭼ** [المزمل:18]، وإنَّما قال: (ﯖ) ولم يقل: **مُنْفَطِرَةٌ**؛ لتنزيل السَّماء منزلة(شيء)؛ لكونها قد تغيَّرت ولم يبقَ منها إلَّا ما يُعبَّرُ عنه بشيء، أي جُعلتِ السَّماءُ بدلاً من السَّقف بمنزلة تذكير سماء البيت، وهذا جارٍ على سُنن العرب في ترك حكم ظاهر اللفظ، وحمله على معناه[1].

11- تغليب الذُكور على الإناث:

من المعلوم أنَّ الإناث يدخُلْنَ تحت خطاب الذكور تغليباً في سائر الخطابات القرآنية، قال-تعالى-: **ﭽﯻﯼﯽﯾﯿﰀﰁﰂﰃﰄﰅﰆﰇﰈﰉﰊﰋﭼ**[التحريم:12]، فلمَّا كان القنوتُ صفةً تشمل من قنت من القبيلين غَلَّبَ ذكوره على إناثه، وفيه إشعارٌ بأنَّ طاعتها-ﻋﻠﻴﻬﺎ السلام- لم تقصر عن طاعة الرجال الكاملين حتى عُدَّتْ من جُملتهم.

12- تغليبُ الأكْثر على الأقل:

جاء تغليبُ الأَكثر على الأقل في استثناء إبليس-لعنه الله- عن السجود مع الملائكة، نحو قوله-تعالى-: **ﭽﮨﮩﮪﮫﮬﮭﮮﮯﮰﮱﯓﭼ**[البقرة:34]، فإدراج إبليس-لعنه الله- مع الملائكة-عليهم السَّلام- هنا يعود على جهة تغليب الأَكثر وهم الملائكة الذين هم ألوفٌ مؤلَّفةٌ على إبليس-اللعين- وهو فردٌ واحدٌ بين أظهُرِهم، وهذا من تغليب الجنس الكثير الأفراد على فردٍ من جنسٍ آخر مضمورٌ فيما بين تلك الأفراد.

13- تغليب الأشهر:

ورد هذا النَّوع في قوله-تعالى-: **ﭽﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂﭼ** [الزخرف:38]، فتوجيه لفظ(**الْمَشْرِقَيْنِ**) يُراد به: بُعْدَ ما بين المشرق والمغرب، فغلَّب المشرقَ على المغربِ؛ لأنَّه أشهر الجهتين.

<u>القسم الثاني</u>: المجازُ العقلي (الإسنادي أو الحكمي):

[1] يُنظر: المُذَكَّر والمُؤنَّث:450/1، وفقْه اللغَة وَسِرُّ العَرَبيَّةِ:332-333.

لعلماء العربية المتقدمين فضلُ السَّبق في بيان مصطلح المجاز العقلي؛ فالأمثلة المبثوثة في مصنَّفاتهم تشيرُ إلى وجود كثيرٍ من الإشارات المجازيَّة التي كان مقياسها عندهم قول القائل: (**نَهَارُهُ صَائِمٌ، ولَيلُهُ قَائِمٌ**)، حملاً له على جهة الاتساع في اللغة مع الاختصار والاستخفاف في اللفظ، وذلك بإضافتهم الفعل إلى الليل والنَّهار، وهو في المعنى للآدميينَ، كما تقول: (**نَامَ ليلُكَ، وعزَمَ الأمرُ**)، وإنَّما عَزَمَهُ القومُ، فهذا ممَّا يُعرَفُ معناهُ فتتَّسع به العرب، وحَدُّه: (**هو إسنادُ الفعل-أو ما في معناه-، إلى غيرِ ما هو لهُ، لعلاقةٍ من العلاقات الستة، مع قرينةٍ مانعةٍ من إرادة الإسناد الحقيقي، وهذا الإسناد المجازي قد يكون إلى: سبب الفعل أو زمانه أو مكانه أو مصدره، أو بإسناد المبنيّ للفاعل إلى المفعول، أو بإسناد المبنيّ للمفعول إلى الفاعل**).

علاقاتُ المجازِ العقليّ:

1-المَفعُوليَّة: (ما بُنِيَ للفاعل وأُسند إلى المفعول)

إنَّ أشهر مثال اتكأ عليه علماءُ البلاغة في إيضاح هذه العلاقة والقياس عليها ما ورد في قوله-تعالى-: **ﭽﮩﮪﮫﭼ** [الحاقة:٢١، والقارعة:7]، وفي قوله-تعالى-: **ﭽﭜﭝﭞ ﭼ** [الطارق:6]، فهنا صار المفعولُ فاعلاً في كِلتا الآيتينِ الكريمتينِ؛ لأنَّ(**رَاضِيَةٍ**) بمعنى: **مرضيَّة**، و(**دَافِقٍ**) بمعنى: **مدفوق**، فقد أُسند إلى العيشة ما هو لصاحبها، وأُسند الدفق إلى الماء بدلاً من إسناده إلى صاحبيه[1]، وأهل الحجاز يجعلون الفاعل بمعنى المفعول في كثيرٍ من كلامهم، كقولهم: (**سِرٌّ كاتمٌ**)، أي: مكتومٌ، و(**هَمٌّ ناصِبٌ**)، أي: منصُوبٌ، و(**ليلٌ نائمٌ**)... ونحو ذلك، وهذا من مجاز الإسناد، إذ أُسند إلى الماء ما لصاحبيه؛ مُبالغةً.

2- الفاعلية: (ما بُنِيَ للمفعول وأُسند إلى الفاعل الحقيقي)

[1] قُلتُ: (**صَاحِبَيه**)؛ بناءً على أنَّه-سُبْحَانَهُ- أراد ماءَ الرجل والمرأة معاً، لأنَّ الإنسانَ مخلوقٌ منهما، لكن جَعلهما ماءً واحداً لامتزاجهما، من باب إطلاق لفظ المفرد على المثنى، بدلالة إخراج الولد من صُلب الرجل وترائب المرأة. والله-تعالى- أعلم.